الافتتاحيّة

الأناجيل المنحولة
هل تحتوي على حقائق مخبوءة حول يسوع؟

رئيس التحرير

مقدّمة

اجتذبت الأناجيل المنحولة[1] الكثير من الاهتمام في العقود الأخيرة. ويعتقد البعض أنّ هذه النصوص تكشف الحلقات الحاسمة من حياة يسوع وتعاليمه، التي ظلّت غامضة أو خفيّة لفترة طويلة. ولكن ما هي الأناجيل المنحولة فعلاً؟ هل تكشف حقًّا الحقائق المتعلّقة بيسوع وبالمسيحيّة، والتي لا تظهر في كتب العهد الجديد؟

قد يعتقد البعض أنّ الأناجيل المنحولة اكتشاف كبير من شأنه أن يزعج الكثيرين بالتأكيد، وقد يغيّر تاريخ بدايات المسيحيّة، لكنّ واقع الأمور هو غير ذلك بالتأكيد! هذا ما سنوضحه بالإيجاز في ما يلي.

١ – الأناجيل القانونية والأناجيل المنحولة

بين السنتين ٤١ و٩٨ م، وضع متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا كتابةً "تاريخَ يسوعَ المسيح":

"نَسَبُ يسوعَ المسيح ابنِ داودَ ابنِ إبراهيم" (مت ١: ١).

هذه القصص حول "الأنباء السارّة" عن يسوع المسيح غالبًا ما تُسمَّى الأناجيل:

"بَدءُ بشارَةِ يسوعَ المسيحِ ابنِ الله" (مر ١: ١).

يمكن أن يكون قد تمّ تعميم تقاليد شفوية وكتابات أخرى عن يسوع. ومع ذلك، تُعتَبَر هذه الأناجيل الأربعة وحدها دون سائر الأناجيل ملهَمَة من الله، وبالتالي، جزءًا من قانون الكتاب المقدّس. وبعبارة أخرى، يمكنها أن تكشف بعض المعطيات والأمور عن حياة يسوع على الأرض وعن تعاليمه؛ هذا ما يتوضّح من خلال الاستشهادات التالية:

(١) الكلمة "منحول" هي نقْلٌ عن الكلمة اليونانية "أبُوكْرِيفَا" التي تعني "الشيء المخفيّ، ما هو مخبّأ"؛ تشير أصلاً إلى الكتب التي كانت موضوعة خصّيصًا لأعضاء مدرسة من الفِكر معيَّنة، ومحرَّمَة على العامّة من الناس. مع مرور الزمن، وفي نهاية المطاف، انتهى الأمر بهذه التسمية بأن صارت محصورةً بالكتب التي لم تُدرَج في قانون الكتاب المقدّس.

– "لَمَّا أَنْ أَخذَ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ يُدَوِّنونَ رواية الأُمورِ الَّتي تَمَّت عندنَا، كما نَقَلَها إلينا الَّذينَ كانوا منذُ البدءِ شهودَ عيانٍ للكلمة، ثُمَّ صاروا عاملينَ لها، رأَيتُ أنا أَيضًا، وقَد تقَصَّيتُها جميعًا مِن أُصولِها، أَن أَكتُبَها لَكَ مُرَتَّبَةً، يا تاوفيلُسُ المُكرَّم، لتَتَيَقَّنَ صحَّةَ ما تَلَقَّيتَ مِن تعليم" (لو ١: ١–٤)؛

– "أَلَّفْتُ كتابيَ الأَوَّل، يا تاوُفيلُس، في جميعِ ما عَمِلَ يسوعُ وعلَّم، منذُ بدءِ رسالتِه، إلى اليومِ الَّذي رُفِعَ فيه إِلى السَّماء، بَعدَما أَلقى وصاياهُ، بدافعٍ مِنَ الرُّوحِ القُدُس، إِلى الرُّسُلِ الَّذينَ اختارَهُم" (أع ١: ١، ٢)؛

– "فكُلُّ ما كُتِبَ هو مِن وَحيِ الله، يُفيدُ في التَّعليم والتَّفنيدِ والتَّقويمِ والتَّأديبِ في البِرّ، لِيَكونَ رَجُلُ اللهِ كاملاً مُعَدًّا لكُلِّ عَمَلٍ صالح" (٢ تيم ٣: ١٦، ١٧).

هناك أكثر من قائمة قديمة يونانيّة مسيحيّة للكتاب المقدّس تتضمّن كلّها الأناجيل الأربعة. لذلك ليس هناك من سبب للشكّ في قانونيّتها، ممّا يعني، عمليًّا، أنّها تنتمي إلى مجموعة كتب كلمة الله الملهَمَة.

مع مرور السنين ظهرت نصوص أخرى سُمِّيَت هي أيضًا "أناجيل". إنّها الأناجيل المعروفة اليوم باسم "الأناجيل المنحولة".

وفي أواخر القرن الثاني، كتب إيريناوس، أسقف ليون (فرنسا)، أنّ المرتدّين عن المسيحيّة كانت "لديهم مجموعة لا عدَّ لها من الكتابات المنحولة والوغدة [أو غير الشرعيّة]، وضعوها هم للتأثير على الحمقى". لقد أعلن بذلك أنّها مؤلّفات خطرة ليس فقط من حيث قراءتها، بل أيضًا من حيث امتلاكها.

ومع ذلك، حافظ العديد من الرهبان والنسّاخ في العصور الوسطى على هذه النصوص. وفي القرن التاسع عشر استيقظ، وبوضوح كبير، الاهتمامُ بالكتابات المنحولة. ونتيجة لذلك، أبصر النورَ عددٌ غير قليل من مصنّفات هذه الكتابات وطبعاتها النقديّة، بما في ذلك العديد من الأناجيل المنحولة. هناك حاليًّا ترجمات لهذه الكتب في العديد من اللغات الرئيسيّة.

٢ – في الأناجيل المنحولة قَصَصٌ غيرُ قابلٍ للتصديق

يركّز بعض الأناجيل المنحولة في الغالب على شخصيّات يجري الكلام عليها قليلاً في الأناجيل القانونيّة أو حتّى لا ذكر لها. وهناك أناجيل أخرى تخبر عن طفولة يسوع بشيء من التلفيق. وفي ما يلي بعض الأمثلة:

- **إنجيل يعقوب التمهيديّ**، ويُسَمَّى أيضا إنجيل **مولد مريم**، يخبر عن مولد مريم وطفولتها، وعن زواجها لاحقًا من القدّيس يوسف. يصفه الكثيرون، وعن حقّ، بأنّه مؤلَّفٌ من نسج خيال دينيّ وحتّى بأنّه أسطورة. وُضِعَ بهدف تعظيم مريم والدفاع عن الفكرة القائلة بأنّها بقيت عذراء أبدًا:

– "فلمَّا قامَ يُوسُفُ مِنَ النَّوم، فَعلَ كما أَمرَه ملاكُ الرَّبِّ، فأَتى بامرَأَتِه إِلى بيتِه،

على أَنَّه لم يَعرِفْها حتَّى ولَدَتِ ابنًا، فسمَّاه يسوع" (مت ١: ٢٤–٢٥)؛

– "أَلَيسَ هذا ابنَ النَّجَّار؟ أَلَيسَت أُمُّه تُدعى مريم، وإِخوتُه يعقُوبَ ويُوسُفَ وسمعانَ ويهوذا ؟

أَوَلَيسَ جميعُ أَخواتِه عندَنا؟ فمِن أَينَ له كُلُّ هذا؟" (مت ١٣: ٥٥–٥٦).

- **إنجيل الطفولة لتوما الزائف** سجّلَ أحداثًا جرت عندما كان يسوع في عمرٍ يمتدّ من سنّ الخامسة وحتّى الثانية عشرة، وينسب إليه سلسلة من المعجزات التي يصعب نوعًا ما تصديقها؛ قارن ذلك مع يو ٢: ١١:

"هذه أُولى آياتِ يسوع أَتى بها في قانا الجليل، فأَظهَرَ مجدَه، فآمَنَ به تلاميذُه".

يقدّم هذا الإنجيلُ يسوعَ وكأنّه شخصٌ متقلّب المزاج وسريع الغضب، صبيّ يستخدم قدراته لينتقم من المعلّمين، والجيران، وحتّى من أطفال آخَرين، ومن أعمى في بعض الأحيان، يَدَعُهم في حالة شلل أو يوصلهم حتّى إلى الموت.

• بعض الكتب المنحولة، مثل **إنجيل بطرس**، يركّز على محاكمة يسوع وتنفيذ الحكم فيه وقيامته. كتب أخرى، مثل **أعمال بيلاطس**، وهو قسم ممّا يعرف باسم **إنجيل نيقوديموس**، تدور حول شخصيّات لها علاقة بهذه الأحداث. لكن، بما أنّها تستنبط وقائع وشخصيّات، فإنّها بالفعل ذاته تفقد كلّ مصداقيّة. يحاول إنجيل بطرس أن يحرّر بيلاطس البنطيّ من أيّة مسؤولية، ويصف قيامة يسوع بطريقةٍ أقلُّ ما يُقالُ فيها بأنّها خياليّة جدًّا.

٣ – المنحولات وجحود الإيمان

في كانون الأوّل من سنة ١٩٤٥، وجد بعض المزارعين، عن طريق الصدفة، بالقرب من بلدة نجع حمادي (صعيد مصر)، ثلاثة عشر مخطوطًا من ورق البرديّ، أي ما مجموعه اثنان وخمسون نصًّا. يعزو الكثيرون هذه الوثائق، التي ترقى إلى القرن الرابع، إلى الغنوصيّين، الذين كانوا أعضاء في حركة فلسفيّة ودينيّة معروفة باسم "الغنوصيّة". لقد أفسدت هذه العناصر الغنوصيّة المختلطة من التصوّف، والوثنيّة، والفلسفة اليونانيّة، واليهوديّة، والمسيحيّة، العديدَ من الذين أعلنوا أنفسهم مسيحيّين؛ وقد يكون هذا أو ما شابه قد دفع بالقدّيس بولس إلى الكتابة إلى تلميذه تيموتاوس ما يلي:

"يا تيموتاوُس، إحفَظِ الوديعَة، واجتَنِبِ الكلامَ الفارغَ الدُّنيَويّ ونقائِضَ المعرِفَةِ الكاذِبة، وقد أَعلَنَها بعضُهم فحادوا عنِ الإيمان. علَيكُمُ النِّعمَة" (رج ١ تيم ٦: ٢٠، ٢١).

وُضِعَ العديد من الأفكار الغنوصيّة على فم يسوع في بعض نصوص نجع حمادي، كما هو الحال في **إنجيل توما**، و**إنجيل فيليبّس**، و**إنجيل الحقيقة**. ويُدرَجُ بين الأناجيل الغنوصيّة **إنجيل يهوذا** الذي اكتُشِفَ مؤخَّرًا، والذي يعزّز نظرة أكثر إيجابيّة إلى يهوذا الإسخريوطيّ، إلى حدّ تقديمه على أنّه الرسول الوحيد الذي فهم حقًّا دور يسوع. ووفقًا لرأي أحد الباحثين في هذا المجال، يصف النصُّ يسوعَ بأنّه "معلِّمٌ وكاشفٌ للحكمة وللمعرفة، ولكنّه ليس مخلِّصًا يموت عن خطايا العالم". الأناجيل المُلْهَمَة، على العكس من ذلك، تؤكّد أنّ يسوع ضحّى بحياته من أجل خطايا البشر:

– "هكذا ابنُ الإنسانِ لم يأتِ ليُخدَم، بل ليَخدُمَ، ويَفدِيَ بنَفْسِه جماعةَ النَّاس" (مت ٢٠: ٢٨)؛

– "فهذا هُو دمي، دمُ العهد يُراقُ مِن أَجْلِ جماعةِ النَّاس لغُفرانِ الخطايا" (٢٦: ٢٨)؛

– "يا بَنِيَّ، أَكتُبُ إليكم بهذا لئلاَّ تخطَأُوا، وإن خَطِئ أَحدٌ فهُناك شفيعٌ لنا عندَ الآب، هو يسوعُ المسيحُ البارّ. إنَّه كَفَّارةٌ لخطايانا، لا لخطايانا وحدَها، بل لخطايا العالَمِ أَجمع" (١ يو ٢: ١، ٢).

بالتالي، فمن الواضح، أنّ القصد من الأناجيل الغنوصيّة ليس زيادة إيماننا بالكتاب المقدّس، بل إضعافه، كما يقول القدّيس بولس في سفر أعمال الرسل:

"ويَقومُ مِن بينِكم أَنفُسِكم أُناسٌ يَتَكلَّمونَ بالضَّلال ليَحمِلوا التَّلاميذَ على اتِّباعِهم" (أع ٢٠: ٣٠).

٤ – تفوّق الأناجيل القانونيّة على المنحولة

إذا تمّ تحليل الأناجيل المنحولة بعناية، وإذا ما قورنت بالأناجيل القانونيّة، فسيتبيّن لنا بوضوح أنّ المنحولة لم تكن مستوحاة من الله؛ نقرأ في هذا السياق ما يوصي به القدّيس بولس تلميذه تيموتاوس:

"إمتَثِلِ الأَقوالَ السَّليمةَ الَّتي سَمِعتَها منِّي، إمتَثِلْها في الإيمانِ والمحبَّةِ الَّتي في المسيحِ يسوع.

إحفَظِ الوديعةَ الكريمةَ بالرُّوحِ القدُسِ الَّذي يُقيمُ

فينا" (٢ تيم ١: ١٣–١٤).

لم يعرف واضعو الأناجيل المنحولة يسوعَ ولا رسلَه، لذلك لا يمكنهم أن يكشفوا عن أيّة حقيقة خفيّة عنه أو عن المسيحيّة. على العكس من ذلك، مؤلّفاتهم هي حكايات غير دقيقة، مستَنبَطة وخياليّة، لا تساعد في معرفة يسوع، ولا في معرفة تعاليمه. لنقرأ أيضًا يعلّمه بولس في رسالته إلى تيموتاوس:

"والرُّوحُ يقولُ صريحًا: إنَّ بعضَهم يَرتَدُّونَ عنِ الايمانِ في الأَزمِنةِ الأَخيرة، ويَتْبَعونَ أَرواحًا مُضِلَّةً ومذاهبَ شيطانيَّة،

وقَد خَدَعَهم رِياءُ قَومٍ كذَّابينَ كُوِيَت ضمائِرُهم" (١ تيم ٤: ١، ٢).

على النقيض من ذلك، ينتمي متّى ويوحنّا إلى مجموعة الرسل الاثني عشر؛ أمّا مرقس فكان أحد المقرّبين من الرسول بطرس، ولوقا من الرسول بولس؛ لقد دوّن كلٌّ منهم إنجيله منقادًا لروح الله القدّوس ولإلهاماته، وفق ما يقول القدّيس بولس:

"فاثبُتْ أَنتَ على ما تَعَلَّمتَه وكنتَ منه على يقين؛ فأَنتَ تَعرِفُ عَمَّن أَخَذتَه،

وتَعلَمُ الكتبَ المقدَّسَةَ منذُ نعومةِ أَظفارِكَ، فهي قادرةٌ على أَن تَجعَلَكَ حكيمًا، فتَبلُغَ الخلاصَ بالإيمانِ الَّذي في المسيحِ يسوع.

فكُلُّ ما كُتِبَ هو من وحيِ الله، يُفيدُ في التَّعليمِ والتَّفنيدِ والتَّقويمِ والتَّأديبِ في البِرّ،

لِيكونَ رَجُلُ اللهِ كامِلاً مُعَدًّا لكُلِّ عَمَلٍ صالح" (٢ تيم ٣: ١٤–١٧).

خاتمة

مع اعترافنا بأهمّيّة الأدب المنحول عامّةً، والأناجيل المنحولة والغنوصيّة خاصّةً، كونها انعكاسًا لتيّارات ولأفكار ولتصوّرات كانت سائدة في مرحلة من تاريخ البدايات في الكنيسة، إلاّ أنّنا نعلم علم اليقين أنّ الأناجيل الأربعة القانونيّة هي التي تحتوي على كلّ ما هو ضروريّ للإيمان بأنّ يسوع هو المسيح ابن الله، كما كتب يوحنّا الرسول في آخِر إنجيله:

"وأتى يسوعُ أَمامَ التَّلاميذ بآياتٍ أُخرى كثيرة لم تُكتَبْ في هذا الكتاب،

وإِنَّما كُتِبَت هذه لتُؤمنوا بأَنَّ يسوعَ هو المسيحُ ابنُ الله، ولتكونَ لكم إِذا آمَنتُمُ الحياةُ بِاسمِه" (يو ٢٠: ٣٠–٣١).